

الشعر

في

العصر العباسي

obekandi.com

- تطور الشعر ونهض ونهوضا ملحوظا ؛ إذ عاش الشعراء أزهى عصورهم ، وكان من عوامل نهضة الشعر في العصر العباسي:
- ١- النهضة الثقافية و الفكرية. و تطور الحركة العلمية:-  
فقد أسهم التطور الفكري والثقافي في اهتمام الشعراء بمعان جديدة و أبدعت قرائحهم كثيرا من الصور والتشبيهات التي أخذت من الحوارات العلمية والثقافية، وشاعت في شعرهم المعاني العقلية.
  - ٢- التطور الحضاري الذي أسهم في نهضة فن الوصف:-  
فقد شاع في هذا العصر وصف القصور والموائد والمآكل والمشارب... كما أثر التطور الحضاري في لغة الشعر فاستخدموا الألفاظ الرقيقة. وابتعدوا عن الغريب والمهجور.
  - ٣- النهضة الاقتصادية و الحياة المترفة التي عاشها الخلفاء:-  
والتي ترتب عليها ازدهار فن المديح بسبب كثرة العطايا والمنح التي كانت تقدم للشعراء ، كما نما نتيجة لهذا الترف شعر الغزل والمجون و نما كذلك شعر الزهد كاتجاه مضاد للمجون و التهتك.
  - ٤- الامتزاج مع الأمم الأخرى و امتداد علاقات التأثير و التأثر:-  
و أسهم هذا في نمو اتجاهات شعرية جديدة تحاول التمرد على البناء التقليدي، كما أدت إلى ظهور المفردات الفارسية في الشعر العباسي نتيجة للامتزاج القوي فيما بين العنصرين العربي و لفارسي .

٥- تطور الحركة النقدية في العصر العباسي:-

فصار الشعراء محاسبون على النواحي الجمالية والهفوات الفنية من قبل النقاد ، فلم يعد النقد فطرياً انطباعياً كما كان في العصر الجاهلي. فقد صار النقد منهجياً له أصوله وقواعده.

مظاهر تطور الشعر في العصر العباسي الأول:

في الأغراض و الفنون:

استمرت أغراض الشعر في العصر العباسي امتداداً للأغراض الشعرية في العصور السابقة، ولحقها تطور صاحبه ظهور موضوعات جديدة ، ومن الموضوعات التقليدية التي لحقها التطور في العصر العباسي كالمدح والهجاء والغزل والرتاء.

المدح:

تطور غرض المدح بشكل ملحوظ بظهور مضامين جديدة إلى جانب مضامينه المعروفة سابقاً، فإلى جانب المدح بصفات الكرم والمروءة والشجاعة... برز الإلحاح في هذا العصر على المعاني الإسلامية خاصة في مدح الخلفاء والوزراء على نحو لم يُعهد من قبل ، فالخليفة في نظر الشعراء إمام المسلمين و حامي حمى الإسلام.

يقول سلم الخاسر في مدح يحيى البرمكي:

بقاء الدين و الدنيا

جميعاً إذا بقي الخليفة والوزير

يغارُ على حِمَى الإسلام يحيى

إذا ما ضيع الحزم الغيور

وقد بالغ الشعراء في وصف مكانة ممدوحهم الدينية، يقول أبو

نواس في مدح هارون الرشيد:

لقد انتقيت الله حَقَّ تَقَاتِهِ

وجَهَدتَ نفسك فوق جُهدِ الْمُتَقِي

وأخفتَ أهلَ الشِّركِ حتى أَنَّهُ

لَتَخَافَكَ النُّطْفُفُ التي لَمْ تُخْلَقْ

كما قام الشعراء بتصوير الأحداث والفتن والحروب في قصائد

المدح، حتى أصبحت قصيدة المدح وثيقة تاريخية تُصوّر فيها البطولات

العربية.

وأبرز مثال على هذا قصيدة أبي تمام في فتح عمورية:

السيف أصدق أنباء من الكتب

في حده الحد بين الجد واللعب

ومن نواحي التجديد في هذا الفن مدح المدن والتعصب لها

والإفاضة في تعداد محاسنها، وأشهر المدن التي مُدحت الكوفة والبصرة

وبغداد باعتبارها المراكز الرئيسية للحياة الفكرية والاجتماعية والاقتصادية.

يقول عمارة بن عقيل في مدح بغداد:

أعابنت في طول من الأرض

أعرض كبغداد دارا إنها جنة الأرض

**الهجاء:**

اتسم الهجاء بالسخرية الشديدة والإيذاء المؤلم، وبرزت أنواع

للهجاء منه:

- الهجاء السياسي

- والهجاء الشخصي

- هجاء المدن

فمن الهجاء الشخصي قول ابن الرومي في هجاء بجيل:

يقتري عيسى على نفسه وليس بيباق ولا واجد

فلو يستطيع لتقتيره نفس من منخر واحد

وفي الهجاء الشخصي اتجه الشعراء نحو السخرية ورسم الصور

الهزلية المضحكة.

ومن ألهاء العام قول دعبل الخُزاعي في هجاء  
المعتصم والوائق:

خليفة مات لم يحزن له أحد  
وأخر قام لم يفرح به أحد  
فمرّ هذا ومرّ الشؤم يتبعه  
وقام هذا فقام الشؤم والنكد  
ويلاحظ أن الهجاء السياسي اتجه نحو التركيز على الإنحراف  
الديني والزندقة للمهجوين.

ومن صور هجاء المدن، قول الشاعر:  
إنما البصرة أشجارٌ ونخل وسماد  
ليس في البصرة حر لا ولا فيها جواد

### الرتاء:

كان للحضارة تأثيرها الملموس في فن الرثاء، فبعد أن كان  
الشعراء العرب ينظمون في البحور الطويلة صار شعراء العصر العباسي  
ينظمون في البحور الخفيفة، ومن نماذج الرثاء في هذا العصر:

- مدح الخلفاء مثل :

قال أبو نواس في الخليفة محمد الأمين:

طوى الموت ما بيني وبين محمد  
وليس لما تطوي المنية ناشر

وكان منه رثاء الأبناء كمرثية ابن الرومي في  
ابنه محمد، وأولها:

بكاؤكما يُشفي وإن كان لا يُجدي

فجودا فقد أودى نظيركما عندي

ألام لما أبدي عليه من الأسى

وإن كان قي القلب أضعاف ما أبدي

ومنه رثاء الزوجات، كما في قول محمد الزيات في

زوجته التي ماتت وتركت ولداً صغيراً:

ألا من رأى الطفل المفارق

أمه بعيد الكرى عيناه تبتذران

رأى كل أم وابنهما غير أمه

يبديان تحت الليل ينتحبان

وبات وحيداً في الفراش تجنّه

بلايل قلب دائم الخفقان

فلا تلحيري إن يكيبت فإنما

أداوي بهذا الدمع ماتريان

ومن جديد الرثاء في العصر العباسي:

- رثاء المغنين

ومن ذلك قول أحدهم في رثاء المغني إبراهيم

الموصلي:

بكت المسامعات حزناً

عليه وبكاه الهوى وصفو الشراب

وبكت آلة المجالس حتى

رحم العود دمعاً المضراب

ومنه رثاء المدن :

كقول الشاعر في المحنة التي أصابت بغداد إثر الصراع الناشب

فيما بين الأمين والمأمون :

يا بؤس بغداد دار مملكة

دارت على أهلها نوائرها

أمهاتها الله ثم عاقبها

لما أحاطت بها كبائرها

ومنه رثاء الشعراء لأشياء جديدة كالأشياء الشخصية

والحيوانات، يقول ابن العلاف في رثاء هرة:

يا هراً فارقتنا ولم تعد

وكنيت منا بمنزل الولد

وكيف ننفك عن هـوأك

وقد كنت لنا عدة من العدد

### الغزل:

كان منه الغزل العفيف الذي يتناول الصفات الخلقية المعنوية

للمرأة كرقعة الإحساس وجمال الروح ، ورجاحة العقل ....

ومنه الغزل الحسي العابث الذي يركز على ملامح جسد المرأة

ومفاتها الجسدية .

كما ظهرَ في الشعر العباسي الغزل بالغلّمان أو الغزل بالمذكر

### الوصف:

برع شعراء العصر العباسي وهذا الغرض ونظرًا للتطور

الحضاري والنمو الاقتصادي فقد اتسع مجال الوصف وتنامي، وظهر

بذلك اتجاهين في الوصف:

• الاتجاه القديم الذي امتدت له يد الحضارة بالتهذيب

والتطويرمثل وصف الشعراء الرحلة في الصحراء والناقة

والفرس والليل والنجوم ووصفوا المعارك والحروب .

• الاتجاه الحديث المبتكر الذي كان نتاج التطور الحضاري

والنماء الاقتصادي وشيوع الترف والبذخ مثل وصف

المظاهر الحضارية المختلفة :

القصور وما فيها من فرش وأثاث وما يحيط بها من حدائق غناء  
تغني فيها الطيور وتجري فيها الضباء والغزلان .

ووصف الآلات الموسيقية وما يتردد فيها من أصوات المغنين  
والمغنيات والألعاب والموائد والمآكل والمشارب....  
و من نماذج الاتجاه القديم:

يقول ابن الفرج في وصف جسر نهر دجلة:  
أيا حبذا جسراً على متن دجلة

بإتقان تأسيس وحسن ورونق  
جمال وفخر للعراق ونزهة  
وسلوة من أضناه فرط التشوق

الحكمة:

ساعدت حركة الترجمة الواسعة على نقل حكم اليونان والفرس  
وحكم كليلة ودمنة الهندية التي ترجمت للفارسية واستوعبها الشعراء  
ثم تمثلوها في شعرهم ، وضمنوها بعض أبياتهم ، يقول بشار بن برد في  
إحدى مدائحه:

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن

برأي نصيح أو نصيحة حازم  
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة

مكان الخوافي نافع للقوادم

ويقال : إنه كان في ديوان صالح بن عبد القدوس ألف مثل:

للعجم:

ولقد كانت حِكْمُ العصور الأدبية السابقة تبدو منثورة في قصيدة المديح أو الهجاء أو الرثاء أو حتى الغزل ، لتلخص تلك التجربة في حكمة أو اثنتين .

وتميّز شعر الحكمة العباسي بإفراد قصائد أو مقطوعات كاملة ومن ذلك قصيدة ( ذات الأمثال ) لأبي العتاهية التي جمع فيها كثيراً من الأمثال البليغة ذكر صاحب الأغاني أنها تبلغ نحو أربعة آلاف مثل ومن الشعراء الذين أفردوا للحكمة قصائد كاملة صالح بن عبد القدوس :

المراء يجمع و الزمان يفرق

ويظل يرقع والخطوب تمزق

ولأن يعادي عاقلاً خير له

من أن يكون له صديق أحقق

فارغب بنفسك أن تصادق أحققاً

إن الصديق علي الصديق مصدق

وزن الكلام إذا نطقت فإنما

بيدي عيوب ذوي العقول المنطق

## الزهد والتصوف:

الزهد اتجاه سلوكي يهدف للابتعاد عن الدنيا والالتزام بالعبادات، أما التصوف فهو نزعة تتخذ من المجاهدة والرياضة الروحية باباً للوصول إلى الباطن وإعلاء جانب الروح .

عرف هذا الغرض من عصر الصحابة، ثم العصر الأموي الذي برز فيه الكثير من القصاص والوعاظ الذين في أشعارهم بوادر للزهد والتصوف .

وفي العصر العباسي أصبح فناً ينظم بذاته، ليواجه تيار الزندقة والانحراف والمجون .

ومن النساء المشهورات بالعبادة والصوم والاستغراق في الذات العلية رابعة العدوية وقد تادت بالحب الإلهي ومن شعرها:

أحبك حين حب الهوى

وحباً لأنك أهلاً لذاكا

فأما الذي هو حب الهوى

فشغلي بذكرك عن سواكا

وأما الذي أنت أهل له

فكشفاك للحجب حتى أراكا

أما شعر الزهد الإسلامي المتضمن لتعاليم الدين دون غلو  
فيتجلى في شعر أبي العتاهية. ومن الأبيات المنسوبة لأبي نواس في  
الزهد:

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرةً  
فلقد علمت بأن عفوك أعظمُ  
أدعوك ربّ كما أمرت تضرعاً  
فإذا رددت يدي فمن ذا يرحمُ  
إن كان لا يرجوك إلا مُحسنٌ  
فبمن يلوذ و يسـتجير المجرم  
مالي إليك وسيلةٌ إلا الرجا  
و جميل ظنّي، ثمّ إنّي مسلم  
النظم التعليمي:

وهو فنّ أدبي جديد ابتدعه الشعراء العباسيون، بهدف تسهيل  
حفظ العلوم، واستظهار المعارف، لاسيما بعد الإقبال على التعلم  
والرغبة الشديدة في طلب المعرفة.

وهذا اللون من الشعر يفتقر - عادة - إلى العاطفة والخيال  
ويخاطب العقل، ويتميز بطول النفس الشعري، وتنوع القافية.

وقد برز في هذا اللون من النظم الشاعر إبان اللاحقي، وله

مزدوجة طويلة شرح فيها أحكام الصوم والزكاة، أو لها:

هذا كتاب الصوم وهو جامع

لكل ما قامت به الشرائع

وقد نظم الشعراء في علم الحيوان، وتاريخ الطب، وعلم الفلك وغيرها.

**مظاهر تطور الشعر في الأفكار و المعاني:**

اتسعت الثقافة في العصر العباسي، فظهر أثر ذلك على الحياة

الفكرية فتميزت الصورة الشعرية بالجدّة والطرافة، وأبيات بشار

**بن برد مثال على التجديد والإبداع:**

لم يطل ليالي ولكن لم أنم

ونفى عني الكرى طيفاً ألم

ختم الحب لها في عنقي

موضع الخاتم من أهل الذمم

ففي البيت الثاني، تشبيه نادر، ولغة الأبيات سهلة وأسلوبها

مألوف. كما اتسع خيال الشاعر العباسي فخلق في فضاء رحب مما

صنعت يد الحضارة، وما صاحبها من ألوان الترف والنعيم الذي أسس

لحياة جديدة، إلى جانب الطبيعة الخلابة.

وتبرز مظاهر التطور في :

### ١- الألفاظ و الأساليب:

اتسمت بالمتانت والقدرة ومجاعة المحدثين في تجديدهم وتسريبت

كثير من الألفاظ والأفكار إلى الساحة الأدبية نتيجة

لامتزاج العرب ومصاهرتهم للأمم الأخرى ، يدل على ذلك ما في

ثنايا شعر العباسيين من ألفاظ كثيرة مقترضة من لغات أخرى

أصبحت مألوفة في الشعر والنثر مثل : الفالوج، والديباج .. وهي

ألفاظ فارسية .

كما استخدم الشعراء تراكيب وألفاظا أعجمية، فضلاً عن

المصطلحات العلمية والفقهية والفلسفية.

### - في الأوزان والقوافي:

نظم الشعراء العباسيون قريضهم بالأوزان الخيلية ، ومالوا إلى

الأوزان القصيرة و المجزوءة، التي تستدعي الرشاقة، والعدوية، وتلائم

حياة القصور والحانات والخمائل ، وتكون أكثر استجابة للغناء

وطواعية للموسيقى ، يقول مطيع ابن إياس:

## ويلي ممن جفاني وحبه قد براني

ومن المقتضب يقول أبو نواس :

حامل الهوى تعب يستخفه الطرب

إن بكى يحق له ليس ما به لعب

تضحكين لاهية والمحب ينتحب

كلما انقضى سبباً منك عاد لي سبب

وتصرف بعض الشعراء في الأوزان، واستحدثوا أوزاناً أخرى

تنسجم مع روح العصر.

### ٢- المولدون و الشعراء:

هم من أصول غير عربية وتحدثوا العربية وقد مال الشعراء

المولدون إلى العناية الشديدة بالصنعة اللفظية والمعنوية، وكلفوا بإيراد

المعاني الغريبة والأخيلة الطريفة، ويمثلهم خير تمثيل بشار بن برد

وأبو نواس ومسلم بن الوليد وأبو تمام، فأكثرُوا من البديع في شعرهم

وخرجوا على عمود الشعراء المعروف عند العرب.